

تلويحة وداع = لشيخ الهند

قوافي الشعر تختصر البلاد
وتجتازُ المفاوِزَ والوهاد
تزور الشام وهي بأرض نجد
وتُسرَج نحو بغداد الجواد
تصافح باليمين رُبي دمشق
وتمسك باليد الأخرى السَّواد
وفي أرض الكنانة للقفوافي
مصادرُ تمنح الحسَّ الجماد
من البيت الحرام تمدُّ كَفًّا
إلى الأقصى تبادله الوداد
وتشرب ماءً زمزم ثم تمضي
وقد أخذت من القرآن زادا
تسافر بي إلى الأفاق حتى
تقربَ من شكا منها ابتعادا
يظلُّ تألُّق الأشواق فيها
يبلِّغها من الحُلم المرادا
قوافي الشعر تغسل راحتها
بماء النيل تسأله المدادا
وتجلبُ من ربوع الهند عوداً
وتلقى في خراسان امتدادا
قوافي الشعر في دمها حنينٌ
تدقق من دمي وإليَّ عাদا
أضأتُ بها دروب الوعي حتى
رأيتُ لهمَّتي فيها اتِّقادا
عَبَرْتُ بها محيطَ الهند لما
رأيت وراءه قصراً مُشاداً
وأبصرتُ المآذن شامخات
تذكّر مَنْ تغافل أو تمادى

«مع الحكاء
بالمغفرة والرحمة لأبي
الحسن الندوي».



شعر: عبد الرحمن
صالح العشماوي

وتنشر في سماء الهند ذكراً
وتسبيحاً تُرِيحُ به العبادا
وتُسمعي صدى كلمات شيخ
تُذيبُ عنادَ مَنْ أبدي العنادا
تحركُ بالهدوء شعورَ فُظٍّ
فيعلن بعد شدته انقيادا
لمن هذا الحديثُ يفيضُ حُباً
وتستهوي بلاغته الفؤادا؟؟
لمن؟ فأجابني صوتُ حزينٍ
يُخافُني ويرتعد ارتعادا
لقد مات المحدث، قلت: ماذا؟
فغمغم بالكلام وما أعادا
سكتُ سكوتَ من يخشى جواباً
يزيد حبالَ حسرته انعقادا
وأدركت الحقيقة، ربَّ صمت
- إذا ما ألجم الراوي - أفادا
مضى بالشيخ مركبهُ وأفضى
إلى الأخرى، وبلغه المعادا
قوافلُ مَنْ نحبُ مضت سراعاً
وآثرت التنقل والبُعادا
أشيخُ الهند، هذا عامُ حزن
تزلزلَ فيه عالمنا ومادا
تساوت فيه أشهُرنا فصرنا
نرى صقراً ونحسبُه جمادى
تساقطت الكواكبُ فيه حتى
تشعبَ ليلُ حسرتنا وزادا
رُزئنا، قبل موتك بابن باز
وأجرى اللهُ فينا ما أَرادا

وكان البدرُ حين هوى، تهاوت
كواكبُ علمنا، والحزن سادا
فأمسينا كما يُمسي جريحُ
تطاول ليَّله وشكا السُّهادا
سهرنا، كيف ترقد عينُ باكٍ
وموجُ الدمع يجتاح الرُقادا؟
أشيخُ الهند، ما ودعتُ هذا
ولا سَعدي، ولم تُكَلِّ سعادا
لقد أَكَلتْ أُمُتُنا، ولولا
عقيدتها لأعلنت الحدادا
بكُتُك لَأَنَّ سَعْيَكَ سَعْيُ شَهْمٍ
بحمل أمانة الإصلاح آدا
لأنَّكَ يا أبا حسن وفيٍّ
زَرَعْتَ لها وأحسنت الحصادا
هي الأفعالُ ترفع شأنَ حُرٍّ
إذا حَسُنَتْ، وتمنحه اعتدادا
ولولا ما رأى من صدق عزمٍ
معاوية، لما ولَّى زيادا
لقد أعلنتها والأرضُ حُبلى
بباطلها الذي احتشد احتشادا
بأنَّ خسارة الدنيا انحطاطُ
لأهل الدين، أورثها الكسادا
وأشعل في نواحيها لهيباً
من الشهوات عودها الفسادا
تجاوزت المحيطُ تبتُّ وعياً
وتطردُ عن روايينا الجرادا
وأدركت الصِّراعَ صراعَ كُفرٍ
وإيمان، فأطلقت الجيادا

شددت إلى الحجاز رجال وغي
قدحت به لهمتنا الزنادا
وسرت إلى المدينة باشتياق
فأسلس ركبك الساري القيادا
نظرت إلى جـزيرتنا بعين
تري فيها المنابع والمهادا
أشيخ الهند ما سافرت إلا
وقد أرسيت في الهند العمادا
لندوتكم مشاعل من علوم
تضيء بنور حكمتها البلادا
وتمنحكم علوماً نافعات
بها تلقون من عوز سدادا
تموج معابد الهندوس كفرأ
تزيد به ارتكاساً وارتدادا
وانتم ترفعون شعار دين
وتعتقدون منهجه اعتقادا
أشيخ الهند، قد هبت رياح
من الإيمان تمنحنا الرشادا
فتحت لها النوافذ حين هبت
فما تركت غباراً أو رمادا
كتبت لنا فما أرخصت فكراً
ولا أخفيت معنى مستفادا
وكنت أديبنا في الهند تحمي
بحسن صياغة الأسلوب «ضادا»
تصيدت البلاغة من حماها
ومن أبرى سهام الوعي صاددا
وما كل الظباء إذا أثيرت
بانغام الهوى تاتي تهادي

وفرقت بين من صلى خشوعاً
وإيماناً، ومن صلى اعتياداً
ومن كتب الحروف لنشر دين
ونصرتة، فقد بلغ الجهادا
بذلت الجهد، ذلك طبع شهم
إذا بخلت نفوس القوم، جادا
وليس على المجاهد من سبيل
إذا لم يدخر فينا اجتهدا
وما حق الذي يسعى لخير
ويعطي، أن يحارب أو يعادي
ومن جعل الكتاب له معيناً
فلن يخشى لمنبعه نقادا

